الرهينة اليمنى.. يهرب إلى المستقبل

■ منير عتيبة *

اليمن من البلاد العريقة في الحضارة، وهي موطن العرب العاربة الذين هم أصل العرب بعدما يسمى بالعرب البائدة، وقد جاء ذكرها في القرآن في قوله تعالى "بَلْدَة طَيِّبَةٌ، وَرَبٌّ غَفُوْر". تمتد اليمن من حدود الحجاز ونجد شمالاً حتى البحر العربي جنوباً، والبحر الأحمر غرباً، حتى الخليج العربي شرقاً، وقد سميت يمناً؛ لأنها تقع على يمين الكعبة، أو من اليُمن والبركة وذلك لخصب تربتها ووفرة خيراتها وكثرة منابعها ووديانها. كانت اليمن منطقة صراع دائم بين القبائل التي تعيش فيها، حتى بعد أن أسست الإمامة فيها، وأول إمام لها وهو يحيى بن الحسين الرسي، (الرس: قرية بين الحجاز ونجد)، وقد دخل اليمن لأول مرة سنة 280هـ، بل ويرى عبد الله الثور في كتابه "هذه هي اليمن" إن حدة الصراع بين الأئمة أنفسهم كانت أشد عنفاً وأكثر ضحايا من الصراعات التي كانت تقوم بينهم وبين منافسيهم، سواء كانوا من الحكام المحليين أو من الدول التي تأتى من الخارج كالأيوبيين والعثمانيين؛ إذ كان يظهر أحياناً أكثر من إمام يدعي أحقيته بالخلافة، مما يؤدي إلى صراع دموي، وهكذا "غرقت اليمن أثناء حكم الإمامة في بحر من الدماء والمشاكل، وخسرت ألف عام من التاريخ في صراع كان من الممكن أن يقودها إلى البناء والعمران والإصلاح، لولا مطامع الحاكمين واستهانتهم بالأرواح والأمجاد". فإذا كان هناك شبه إجماع بين المؤرخين أن تاريخ اليمن توقف لمدة تقرب من ألف عام؛ فإن ذلك الإحساس الذي يأتيك وأنت تقرأ رواية "الرهينة" بأن أحداثها تدور في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر، رغم أن أحداثها تدور في النصف الأول من القرن العشرين، ذلك الإحساس لا يبدو غريباً، فقد كانت اليمن قطعة من القرون الوسطى تعيش في قلب القرن العشرين معزولة تماماً، يؤهلها لذلك طبيعتها الجغرافية الجبلية، والستار الحديدي الكثيف الذي وضعها الأئمة خلفه!!. مؤلف رواية الرهينة هو الأديب اليمنى "زيد مطيع دمّاج" المولود سنة 1943م.. بدأ تعليمه في "الكتّاب" بحفظ القرآن الكريم.. درس الحقوق في جامعة القاهرة، ودرس الصحافة في جامعة صنعاء.. وانتخب عضواً في أول برلمان يمنى سنة 1970م ورئيساً للجنة الثقافة فيه.. من مؤلفاته: طاهش الحوبان – العقرب - أحزان البنت مايسة.. أما رواية الرهينة فقد صدرت سنة 1984م. يقول الناقد اليمني محمد علي اللوزي: "زيد مطيع دمّاج واحد من الذين أثْرَوا المكتبة اليمنية بدراية واقتدار، وبامتلاك ناصية العمل الفني الذي يتطلب قدرة على ضبط الإحساس النفسي بما يلائم الحدث وفق لغة خاصة تشدُّ القارئ إلى متابعتها". والرهينة هو غلام صغير ينتسب إلى زعيم قبيلة أو أسرة ثائرة أو يخشى خطرها، يأخذه إمام اليمن أو نائبه ليسجنه في قلعة محصنة؛ ليكون ورقة تهديد في يده إذا ما فكّر أهله القيام بما يغضب الإمام. بعض هؤلاء الرهائن يتم اختيارهم للعمل كـ "دويدار" في قصر الإمام أو نائبه، أما عمل الـ "دويدار" وماهية وظيفته، فهذا ما لم يكن يعرفه بطل الرواية عندما تم إبلاغه باختياره للعمل كدويدار.. يقول: "الشيء الذي لم أكن أعرفه هو معنى (الدويدار) وما هو عمله؟ ولم أكن أعي أي تفسير يقال، ربما لصغر سني.

- من شروط الدويدار أن يكون صبيًّا لم يبلغ الحُلُم. هكذا كان يقول أستاذنا (الفقيه) السجين أيضاً معنا، والمكلف بتعليمنا القرآن والفروض والطاعة في قلعة القاهرة معقل الرهائن. - يقوم الدويدار حالياً بعمل الطواشي. وعندما تبدو علينا الحيرة يقول: - والطواشي هم العبيد المخصيُّون. فنزداد حيرة أكثر. - والخصي هو من تُضْرب خصيته. ونحتار أيضاً من جديد متألمين لهذا العمل القاسي، فيقول: - لكي لا يمارس عملاً مشيناً، جنسيًّا، كمضاجعة نساء القصور، أي بمعنى آخر يجب أن يكون فاقداً لرجولته، أي بمعنى آخر عاجزاً. ونحتار أكثر، فيقول: - هذا يكفى، مفهوم؟ - غير مفهوم يا (سنّا) الفقيه. [أي يا سيدنا الفقيه]. يقوم غاضباً لردنا الجماعي الذي كان يعتبره وقحاً أو وقاحة، ونصيح بنشيدنا المعتاد: - غفر الله لك يا سيدنا، ولوالديك مع والدينا". يذهب الغلام ليعمل كدويدار في بيت النائب، وهناك يصادق غلاماً آخر سبقه إلى العمل بهذه المهمة ويسمونه "الدويدار الحالي" أي الحلو أو الجميل.. ويصبح الدويدار الحالي مرشداً له، يخبره بكل أسرار القصر، النائب الذي لا يفعل في حياته سوى الجلوس على أريكته والاستماع إلى جهاز عجيب تصدر منه أغان وموسيقى اسمه "الراديو"، ويرسل جنوده لجمع الضرائب الباهظة من الفقراء الذين لا يملكون طعام يومهم - هؤلاء الجنود الذين ينتشر بينهم الشذوذ حتى مع الحيوانات -، ولا يترك مبسم النارجيلة من يده أو فمه.. وصورة هير (لقب بمعنى السيد) هتلر، وموسلليني ملك الطليان، والشيخ الوقور عمر المختار.. وحفصة أخت النائب من أبيه، القوية، الجميلة، المطلقة من ابن عمها لعدم قدرته على نيلها بسبب عجز متأصل فيه، الغنية لميراثها الكبير من أمها.. والعالم السِرّي لحريم القصر، وما يفعلنه مع الدويدار الحالي، ألعوبتهن التي يقطعن بها ملل الوحدة والعمر الذي يمضى بلا معنى.. يدخل البطل في علاقة مركبة – متأزمة - مع عالمه الجديد، هو رافض لهذا العالم، وهو في الوقت نفسه أضعف من أن يثور عليه، ولا يملك حتى حق الاحتجاج، بل إنه يحب جزءاً من هذا العالم، يحب أخت النائب، وهي بدورها على علاقة غامضة بالشاعر الخاص للإمام، وتستخدم "الرهينة" كمرسال بينها وبين الشاعر، وفى نفس الوقت تستمتع بوقوع "الرهينة" في حبها، وتعمل على امتلاكه، لكنه يرفض أن يتحول حبه إلى تسلية رخيصة، إنه من النوع العنيد الذي لا يستسلم بسهولة، إنه روح غير قابلة للامتلاك. استخدم دمّاج أسلوب الاعترافات في سرد روايته، فهي تدور على لسان البطل، وقد وفق في اختيار هذا الشكل؛ لأن قدرته البوحية الهائلة تجعلك تصدق تماماً ما يجري، بعكس ما لو استخدم أسلوب الراوي الخارجي، خاصة وأنه لم يجعل بطله "الراوي" المعترف عالماً بكل شيء مثلما يحدث مع الراوي الخارجي عادة، بل إن الرهينة "الراوي" لا يعرف شيئاً عن أي شيء منذ البداية، فجهله التام بالعالم الذي هو مقبل عليه لا يقل عن جهلنا نحن به، وهو يكتب اعترافاته أثناء اكتشافه لهذا العالم، ونحن نكتشفه معه، ونمتلك معه دهشة وبكارة لحظة الكشف والاكتشاف الأولى.. كما ساعد هذا الشكل الروائي على جعل القارئ يتمثل صورة البطل في نفسه؛ إذ يحرص دمّاج منذ البداية، ويجيد، وضع قارئه في الظرف المكاني والزماني والنفسي لبطله، بحيث تشعر بنوع من الدمج شبه التام بينك وبين البطل خلال قراءتك للرواية، وليصل بك الكاتب إلى هذه الحالة من الحلولية يستخدم وسائل شتى، مثل وصف المكان بطريقة تجسِّمه لك وتجعله مرئيًّا، واستخدام الأسماء اليمنية للأشياء والأدوات والصفات والعلاقات، فهو مثلاً يصف الحمام التركي هكذا: "سرداب وقباب وممرات كلها مرصوفة بالحجارة المربعة السوداء، ملحمة بالقضاض المصنوع من النورة البيضاء، البخار يتصاعد بكثافة عند القمريات الرخامية الجاذبة للضوء"، ويصف إسطبل الخيل: "كان إسطبل الخيل واسعاً، تنبعث منه رائحة ذكرتني بسفل منزلنا في الجبل، رائحة روث وبول البقر والثيران ممزوجة برائحة التبن والعجور وأصوات الدجاج المنزعجة لقدومنا بينما كانت تنبش بأظفارها أكوام السماد باحثة عن الحشرات، كم كان والدي حريصاً على بقاء النواقيس النحاسية على رقاب الثيران.. حتى الجمال والحمير في جبلنا كانت تعلق على أعناقها تلك الأجراس النحاسية القديمة التي تحذر الناس والأطفال بالذات في الطرقات والأزقة"*.. ويذكر "جمنة القهوة" وهي إناء فخاري تغلى فيه القهوة اليمنية من قشر البن، و"المداعة المنيبر" أي النارجيلة الممتازة.. و"قبيلي" أي فلاح نسبة إلى القبائل.. و"لمبة الألف" أي المصباح الغازي.. و"كاوش" وهو العنبر المخصص لإقامة الجند، وغير ذلك.. بالإضافة إلى حرصه على وصف ما يمكن تسميته بالجو العام خصوصاً فيما يتعلق بالعادات الشعبية مثل الاحتفال بحلول شهر رمضان: "غداً هو أول يوم في شهر رمضان، شعرت بذلك من خلال الإعداد الهائل والاهتمام المشترك لجميع سكان القصر من سادته إلى عساكره وخدمه وحشمه، حتى صاحبي، فقد ملأ غرفتنا بأشياء عجيبة بيضاء اللون كأنها مصنوعة من الفضة، قال لي بأنها "الأتاريك" وبدأ في تنظيفها ثم ملأها بمادة القاز والسرت، وغيّر - كما أفهمني - ذبائلها الحريرية الملونة التي تشبه "قوس علان" بأوانه، ثم شرع يجرب تجاربه عليها، كم أدهشني صفاء نورها اللبني الناصع، وكم ضحك صاحبي مني وتلذذ في مباغتتي بأشياء عجاب تذهلني!".. ويقارن بين رمضان أهل الحضر كما وصفه في قصر نائب الإمام، وبين رمضان في قريته الصغيرة القابعة في حضن الجبل.."نَسْمُر لنستمع آيات من القرآن الكريم، نحفظها على ضوء سراج زيتي ذي ذبائل قطنية حارقة، وإذا ما قرئ أي شيء فهو طبعاً كتاب المولد والمآتم والأفراح الممل". ولا ينسى أن يصف لنا كيف كان يقضى رمضان في قلعة الرهائن.. وكيف تقضى نساء القصر ليل الشهر الكريم ونهاره، وهكذا حتى تشعر أنك قد صمت نهار رمضان وسهرت ليله مع كل طبقات الشعب اليمني في ذلك الوقت.. ولا يمر وقت طويل حتى يموت الدويدار الحالي بين يدي "الرهينة" نتيجة استنزاف نساء القصر ورجاله له.. فتشتعل الكراهية في قلبه لهذا العالم الموبوء.. "وهكذا يقودنا دمّاج إلى قصور الخرافة العربية حيث النساء والجواري والغلمان، والحرس المفتون بالأسرار، والملوك المؤطرين بالحجّاب، والشعراء المدّاحين في قصر الإمام اليمنى، كاشفاً خباياه، متسللاً إلى دهاليزه".. يعري الكاتب مجتمع الصفوة اليمنى في ذلك الوقت كاشفاً عيوبه ومخازيه، محللاً للفساد الذي أدى إلى انهياره.. فالرهينة يكتشف خواء هذا العالم وهشاشته، ويكتشف في الوقت نفسه قدرة على المقاومة تسكن بداخله، ولا تحتاج إلا إلى استنهاضها واستخدامها، فيقاوم خوفه، ويقاوم حبه للشريفة حفصة.. ويولي هذا العالم ظهره.. "كنت قد قطعت مسافة كافية في طريق جديد مؤد إلى المستقبل، مخلّفاً ورائي صوتها المبحوح المحبب إلى قلبي، وذكرياتي مع صاحبي المرحوم". وكأن السطور الأخيرة من الرواية توحد بين الرهينة - الذي صهرته التجربة الرهيبة التي مر بها، فلم يَعُد غلاماً بريئاً يفتح فمه دهشة لكل شيء يقابله، بل أصبح شابًّا صاحب خبرة تواقاً إلى مستقبل أفضل في عالم أفضل - وبين اليمن، الأرض والإنسان، الجغرافيا والتاريخ، في محاولته الصعبة للفكاك من أسر العزلة "الزمكانية"، والتطلع إلى المستقبل.

راجع: -1هذه هي اليمن - عبد الله الثور - دار العودة – بيروت - الطبعة الثانية 1979م. -2 مجلة "اليمن الجديد" - السنة التاسعة عشرة - جمادى الثاني 1410هـ – يناير 1990م. -3 الرهينة – زيد مطيع دمّاج – الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999م. - القمريات: نوافذ رخامية - بسفل منزلنا: أسفل منزلنا - العجور: قصب الذرة (علف البهائم).

الإسكندرية

موطن الأشباح

فيصل البريهي

كُـلُ الـمـعـانـي فـيـك مـسـتـغـربَـهْ
في واجـهـاتِ الـكُـشـكِ والـمـكـتـبَـهْ
كُـلُ الـعـلامـاتِ الـتـي تـحـتـوي
مَـفْـهـومَـهـا عـن نَـفْـسِـهـا مُـضـربَـهْ
مـاذا جـرى ؟! مـا كُـلُ هـذا الـذي
قـد أرهَـقَ الأُسـلـوبَ بـالأَسْـلَـبَـهْ ؟!
كَـمْ مـرّةٍ عـنـهُ تَـسـاءلـتُ في
نَـفْـسِـي...ونَـفْـسـي مـنهُ مُـسـتَـهِـيبَـهْ
وكُـلّـمـا سـاءلـتُ مُـسـتَـفـهِـمـاً
عـنـهُ الـمـزيـدَ اسْـتعـصَـتِ الأَجْـوِبَـهْ
هـذا الـذي مـازالَ فـي خـاطـري
مُـسـتـفـحـلاً كـالـقِـصَّـةِ الـمُـرعـبَـهْ
* ** *
يـا مِـوطـنـي لـي أنْ أرى فـيـكَ مـا
لـم تَـسـتَـطِـعْ كـالّـلـيـلِ أنْ تَـحجُـبَـهْ
فـيـكَ الـجـراحُ الـمُـثـخـنـاتُ الـتـي
لـم تـنـدمـلْ أغـوارُهـا الـمُـلـهِـبَـهْ
فـي شَـطِّـهـا تَـرسُـو الـجـراثـيـمُ لِـلْـ
أوبـاءِ فـي أعـمـاقِـهـا مُـجـلِـبَـهْ
كَـمْ سَـرْطَـنـتْ أعـضـاءَ أرضـي وكـم
ألـقَـتْ عـلـيـهـا حَـسْـرةً مُـكـئِـبَـهْ
* ** *
يـا مَـوطِـنَ الأشـبـاحِ كُـلُ الـذي
نـخـشـاهُ قـد خُـضْـنـاهُ عَـن تـجـربَـهْ
ذُقْـنـا الـرّدى لـم يَـبـقَ مـا مِـنـهُ أوْ
عـلـيـهِ يَـدْعـو الـخـوفُ أن نـرْهـبَـهْ
سِـيّـانَ فـيـهـا كُـلّ أبـنـائِـهـا
فـي الـمستوى الـفِـطـريِّ والـمـرتـبَـهْ
أو بَـيـنَ مَـن مـنـهـم يـراهـا لَـهُ
سِـجـنـاً ومَـن مِـنـهـم يـرى مـلعـبَـهْ
* ** *
هـذِيْ بـلادي كـلُ خـيـراتِـهـا
فـي جَـوفِـهـا...كـالـخزْنَـةِ الـمُـذْهَـبَـهْ
لـكـنّـهـا فـي قَـهـرِهـا لـم تَـزلْ
كـالأُمـنـيـاتِ الـبِـكْـرِ مُـسـتـغـصَـبَـهْ
ورَغْـمَ جُـودِ الـمُـزْنِ بـالـغَـيثِ لم
تَـبْـرحْ صَـحـارى نَـفْـسِـهـا مُـجـدِبَـهْ
لـيـسـتْ بِـغـيرِ الـجـدْبِ والـقَـحـطِ فـي
واحَـاتِـهـا مـهـمـا اسْـتَـقَـتْ مُـخْـصِـبَـهْ
* ** *
يـا مـوطـنـاً لَـمْـلَـمْـتُ انـداءَهُ
قـارورةً عـطـريّـةً طـيّـبَـهْ
أحـسـنـتُ فـيـكَ الـظّـنّ مُـسْـتَـبـعِـداً
عـنـكَ الـرؤىٰ فـي حـالـةٍ مُـغـضِـبَـهْ
وكُـلّـمـا حـاولـتُ أن لا أرى
لـلـسُّـوءِ عـيـنـاً فـيـكِ مُـسـتـعـقِـبَـهْ
سُـرعـانَ مـا تـرتـدُّ عـيـنُ الـرِّضـا
مُـسـتـاءةً...لـلـظّـنِّ مُـسْـتَـخـيِـبَـهْ
لا شـيءَ يـبـدو فـيـك مـسـتـفـحـلاً
غـيـرُ الأسـى كـالّـلـيـلَـةِ الـمُـذنِـبَـهْ
نـسـتَـبْـدِعُ الآثـامَ فـيـنـا وقـد
شـاعَ ابـتـداعُ الإثْـمِ كـالـموهِـبَـهْ
والـشـرُّ سـلـطـانُ الـبـلادِ الـتـي
فـيـهـا اسـتـوى الإنـسـانُ والأرنَـبَـهْ
فـالـدهْـرُ مِـنّـا مُـنـهَـكٌ لـم يُـرِحْ
أو تَـسْـتَـرِحْ أعْـضـاؤهُ الـمـتـعَـبَـهْ
* ** *
والـنـفـسُ لـم تـبـرحْ بـأهـوائِـهـا
لـلـشّـوقِ فـي الأحـشـاءِ مُـسـتَـقـطِـبَـهْ
فـيـهـا انـجِـذابٌ كـهـربَـتْـهُ الـمنى
مـثـل انـجـذاب الـبـرق لـلـذبـذبَـهْ
لـكـنّـنـا والـعـصـرُ فـي غـفـلـةٍ
سكْـرى...تـمـاديـنـا بـهـا...فـانـتـبَـهْ
عـشـنـاهُ فـي نـوم وغـيـبـوبـةٍ
والـكُـلُ مِـنّـا تـابـعٌ مـذْهَـبَـهْ
لـم نـلـتـمـسْ مـنـهُ سـوى مـا بـهِ
مِـن لـذّةٍ كـالـشُّـحـنَـةِ الـمـوجَـبَـهْ
فـي صـفـحـةِ «الـفِـسْـبوكِ» كـم مُـعجَـبٌ
مُـسْـتَـمـتِـعٍ بـالّـلـهـو أو مُـعـجَـبَـهْ
نـقـضـي لـيـالـيـنـا...، وأيـامُـنـا
تُـقـيـمُ مِـنّـا لـلـهـوى مـأدُبَـهْ
وسـوف نـبـقـى فـي الـمـواويـلِ لا
شِـعـراً ولا لَـحْـنـاً ولا مُـطـرِبَـهْ
* ** *
مِـنّـا وفـيـنـا الـقـتْـلُ حـصْـراً كـمـا
مِـن بـيـنِـنـا الـمـقـتـولُ والـمـشـتَـبَـهْ
لـيـسـتْ لـنـا أيُّ الـقـوامـيـسِ فـي
نـحـوٍ ولا صـرفٍ بـمـسـتـوجِـبَـهْ
لا شـيءَ غـيـرُ الـجـهـلِ مِـن صـلـبِـه
جـئـنـا انـتـسـابـاً قـبـلَ أن نُـنْـسَـبَـهْ
فـمـا سُـواهُ كـان أصـلاً لـنـا
ولا سُـوى الـفـوضـى لـنـا مُـنـجِـبَـهْ
كُـنّـا ومـا زلـنـا عـلـى عَـهـدِنـا
لـن نُـرضِـعَ الـمَـعنـى ولـن نـحلُـبَـهْ
وسُـوفَ نـجـتـازُ الـمـدى جـمـلـةً
مـبـنـيّـةً فـي الـشّـكـلِ أو مُـعـرَبَـهْ
لـن تـشـهـدَ الـدُنـيـا لـنـا نُـخـبَـةً
فـي مـوكـبِ الأمـجـادِ أو كـوكـبَـهْ
مـادامـتِ الأهـواءُ تـهـفـو لـمـا
نـأتـي مِـن الأخـطـاءِ مُـسـتَـصـوِبَـهْ
والـعـمـرُ دربٌ لـم يـجِـدْ زادهُ
مِـن عـابـرٍ فـيـهِ ولا مـركـبَـهْ
لـم يُـخْـصِ مِـن شـارٍ ولا بـائـعٍ
خُـسْـرانَـهُ فـي الـسّـعْـيِ أو مَـكْـسَـبَـهْ

الأربعاء 2014/3/12م - صنعاء

بمناسبة صدور مجموعته القصصية الجديدة (2011):

اتحاد أدباء صنعاء يحتفي بالروائي والأديب عبدالله عباس الإرياني

الثورة / خليل المعلمي

احتفى اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين فرع صنعاء أمس على رواق بيت الثقافة بالروائي والأديب عبدالله عباس الإرياني بمناسبة صدور مجموعته القصصية الجديدة "2011"، بحضور مجموعة من الأدباء والمثقفين والمهتمين بالشأن الثقافي في بلادنا.

وقد تحدث في الفعالية كل من زيد الفقيه ووليد دماج ومحمد القعود ومحمد الأشول حيث أشادوا بالتجربة الإبداعية للأديب الإرياني وإثرائه للمشهد الثقافي والإبداعي في بلادنا من خلال الأعمال الروائية والقصصية التي قدمها خلال ثمان سنوات من الإبداع والتميز.

وتطرق المتحدثون إلى ما تناوله الأديب من أحداث في التاريخ اليمني في أعماله الإبداعية، وما قدمه للقارئ من وجبة معرفية بأسلوب إبداعي، حيث كانت الشخصيات من التاريخ ونسج خيال الكاتب إلا أن تلك الأعمال التاريخية قد أسقطت ظلالها على الحاضر، مع عدم نسيانه للحاضر المعاش.

واستعرضوا ما قدمه الأديب خلال ثمانية أعوام من أعمال إبداعية بلغت 13 عملاً إبداعياً في مجال القصة والرواية والمسرح تنضح بملامح الشخصية اليمنية وتحمل هموم وتطلعات وآمال الواقع اليمني الذي تم رصده بعناية.. مشيرين إلى ما يقوم به الأديب من أسر قرائه من أول كلمة توقعهم في عقد الحكي، ثم يربطهم بسلاسل الأفكار وبأرق وأسهل الألفاظ ويتركهم حيارى في أطر وحبكات القصص، ومن ثم يطلقهم إلى فضاءات الفن ليحلقوا عالياً في سماوات الإبداع محاولين مجاراته في السباحة الحرة في ملكوت السرد الجميل.

وفي كلمة للأديب عبدالله عباس الإرياني أشار إلى أن تجربته مع الكتابة هي قصيرة ولا تتعدى الثمانية أعوام حيث وجد نفسه كاتباً بعد فترة كبيرة من قراءته لمختلف الأعمال الإبداعية اليمنية والعربية.. مقدماً الشكر والتقدير لفرع الاتحاد بصنعاء الذي دائماً ما يعتني بالمبدعين والأدباء وتقديم كل ما هو جديد من مختلف الأعمال الإبداعية.

وفي ختام الاحتفائية قام الأديب عبدالله الإرياني بتوقيع مجموعته القصصية الجديدة وإهدائها للحاضرين.

تصوير / حامد فؤاد

إصدارات

التقنية والمعرفة الإنسانية

بعد أكثر من عشرين سنة على وفاة الفيلسوف والمهندس الفرنسي، جيلبير سيموندون، تشهد رفوف المكتبات الفرنسية عملاً له يُنشر للمرّة الأولى. وهو مجموعة من المقالات والدراسات التي كان قد كتبها في العقود السابقة. ويحظى صدور هذا الكتاب باهتمام النقّاد نظراً لراهنية موضوعها، حالياً، المتعلّق بـ "التقنية"، ولأهمية المؤلف ـ الفيلسوف الذي كان له تأثير معترف فيه على فلاسفة ومفكرين كبار، من أمثال: جيل ديللوز وبرنار ستيغلر.

تتوزع مواد العمل بين أربعة محاور، تبعاً للصيغة وللوظيفة المطلوب تلبيتها. وهكذا، ضم المحور الأول، "الدروس" التي كان المؤلف ـ الفيلسوف قد حضّرها لطلبته في الجامعات: البسيكولوجيا الاجتماعية للميل التقني، ولادة التكنولوجيا، الفن والطبيعة.

المحور الثاني من الكتاب مكرّس لـ"المقالات والمحاضرات" وعددها تسع، كتبها المؤلف بين عامي 1953 و 1983، وتتمحوّر حول العلاقة بين الثقافة والتقنية. والمحور الرابع، يحتوي على "مقتطفات وتعليقات". وتختتم محتويات الكتاب، بثلاث مقابلات كان المؤلف قد أجراها مع ثلاثة باحثين حول مسائل تتعلّق بـ"التقنية".

ومن الأسئلة التي طرحها المؤلف على نفسه، كما يطرحها بصيغة ما في مساهمات هذا الكتاب، هناك السؤال الخاص بمعرفة الشروط التي يمكن للتقنية أن تكون في إطارها، حاملة لإمكانية إنجاز تقدّم حقيقي بالنسبة للبشرية؟

في معرض محاولة الإجابة عن هذا السؤال "العريض والعميق"، يقدّم المؤلف في النصوص العشرين المنشورة في هذا الكتاب، "قراءة للتقنية ودورها"، في مختلف أبعادها الثقافية والاجتماعية والتاريخية. ذلك في منظور البحث عن الشروط المطلوبة لتحقيق تقدّم حقيقي.

يكرر المؤلف القول إن ثقافة العالم المعاصر اليوم، وريثة حقبة لم تكن التقنية فيها تتجاوز حدود المهن والحرف اليدوية. إذ كانت الأدوات المستخدمة بمثابة امتداد لليد التي تمارس العمل اليدوي. ومن هنا، أبدت الثقافة التقليدية نوعا من العزوف والرفض للتقنيات الجديدة التي تجهلها، وبالتالي، تحتقرها تقريباً.

الأمر تغيّر في عالم اليوم. لكن ما هو ثابت ويؤكّد عليه مؤلف الكتاب، أنه ليس الثقافة هي التي ينبغي عليها أن تندمج مع التقنية، بل التقنية هي التي ينبغي عليها أن تندمج مع الثقافة. وهذه الثقافة، عليها أن تأخذ في الحسبان، أن التقنية تأتي تلبية لفعل إنساني وتجسيداً لتصوّر إنساني أيضاً.

ويشرح المؤلف أن وجود "منجزات التقنية" ليس مجرّد وجود فيزيائي ومادي. ولكنه أيضاً، وجود ثقافي وإنساني. والإشكالية الأساسية التي يطرحها مؤلف الكتاب، تتمثل في معرفة الكيفية التي يمكن على أساسها إعطاء التقنية المكانة التي تستحقها في الثقافة، ومحاولة فهم المصادر الحقيقية التي تؤدّي إلى إحساس الإنسان باغترابه عن ذاته، إذ إن التقنية هي أحد "المتهمي" الرئيسيين في ذلك الاغتراب.

المؤلف في سطور

جيلبير سيموندون. فيلسوف ومهندس فرنسي راحل (من القرن العشرين). نال شهادة الدكتوراه. وأصبح أستاذاً في جامعة بواتييه، ثم في جامعات باريس. كتب القسم الأساسي من أعماله، خلال العقدين الأولين من النصف الثاني من القرن العشرين.

الكتاب: حول التقنية - تأليف: جيلبير سيموندون - الناشر: المطبوعات الجامعية ـ باريس- 2014 - الصفحات: 480 صفحة - القطع: المتوسط